خطبة بعنوان

((صنائع المعروف تقي مصارع السوء))

الْـخُـطْـبَـة الأُولَـــى*

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ، هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد:

فقد روى الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" صنائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة خفيا تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف:"

وروى الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات..." الحديث.

وقبل أن نتحدث حول هذا الحديث العظيم، نحب أن نتعرف على معنى المعروف الذي يقي مصارع السوء وما هو هذا المعروف الذي يكون سببا في دخول الجنة.

قال الراغب:رحمه الله (المعروف اسم لكل ما عُرف حسنُه بالشرع والعقل معًا)ا.ه

وقال المناوي رحمه الله :قال العامري:(المعروف هنا يعود إلى مكارم الأخلاق مع الخلق،كالبر والمواساة بالمال والتعهد في مهمات الأحوال كسد خلة وإغاثة ملهوف وتفريج مكروب وإنقاذ محترم من محذور، فيجازيه الله من جنس فعله بأن يقيه مثلها أو يقيه مصارع السوء عند الموت..

وقال الماوردي:رحمه الله: وللمعروف شروط لا يتم إلا بها ولا يكمل إلا معها فمنها ستره عن إذاعته وإخفاؤه عن إشاعته،قال بعض الحكماء: إذا اصطَنعت المعروف فاستره،وإذا اصطُنع إليك فانشره، لما جبلت عليه النفوس من إظهار ما أخفي وإعلان ما كتم،

ومن شروطه تصغيره عن أن تراه مستكبرا، وتقليله عن أن يكون عنده مستكثرا، لئلا يصير مذلا بطرا،أو مستطيلا أشرا، قال العباس: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره وستره،ومنها مجانبة الامتنان به وترك الإعجاب بفعله لما فيه من إسقاط الشكر وإحباط الأجر،ومنها:أن لا يحتقر منه شيئا وإن كان قليلا نزرا إذا كان الكثير معوزا وكنت عنه عاجزا)ا.ه

ومعنى "صنائع المعروف": أي فعل الخير للناس برهم وفاجرهم، ومعنى:" تقي مصارع السوء" بينها النبي صلى الله عليه وسلم في الرواية الأخرى:" صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات..."

وقوله صلى الله عليه وسلم:" وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة"

قال المناوي أي من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة)ا.ه

وقوله:"وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة" أي أن أهل المنكرات في الدنيا هم الذين يستحقون العقوبات في الآخرة.

وقوله:" وأول من يدخل الجنة أهل المعروف:" أي من كان من أهل المعروف والإحسان إلى الناس في الدنيا أول من يدخل الجنة في الآخرة، وقبل ذلك من كان من أهل المعروف والإحسان في عبادة الله، ومن أهل توحيد الله، ومن أهل الصلاة، ومن أهل المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كان أول من يدخل الجنة بإذن الله تبارك وتعالى.

عباد الله أيها المؤمنون:

ذكر النبيُ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وذكر من صنائع المعروف الصدقة

الخفية، فإنها تقي أشد مصارع السوء، وهو غضب الجبار سبحانه، فإنه إذا غضب على العبد ربما أخذه بالعقوبات العاجلة قبل الآجلة، لكن قد جعل الله سبحانه وتعالى ما يطفئ هذا الغضب، ويمنع هذه العقوبات بإذنه تبارك وتعالى، وهي صدقة السر، ويجعل صاحبها في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، وروى الإمام أحمد عن عُقْبَةَ بْن عَامِرٍ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ ". أَوْ قَالَ : " يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ ". قَالَ يَزِيدُ : وَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إِلَّا تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ، وَلَوْ كَعْكَةً، أَوْ بَصَلَةً، أَوْ كَذَا.

ومعنى قوله:" كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ " أي يظله الله يوم القيامة في ظل صدقته حين تدنو الشمس من رءوس الخلائق مقدار ميل ويعرقون حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا.

وفي المثل الشعبي اللقم تدفع النقم)أي: تدفع المصائب بإذن الله تبارك وتعالى، إذا كانت لوجه الله، ولم يَتبعْها منٌّ ولا أذى.

ومن صنائع المعروف التي ذُكرت في الحديث :صلة الرحم، فإنها تقي مصارع السوء وتزيد في العمر، وتبارك في الرزق، لاسيما إذا انضاف إلى ذلك دعوة الرحم للواصل، فقد روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ".ومعنى(ينسأ له في أثره)أي: يؤخرله فيه، ويبارك له في عمره.

وروى الإمام أحمد عن عَائِشَةَ ،رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا : " إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ"

فانظر يا عبدالله في هذا الحديث إذ ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم بعض صنائع المعروف، التي تقي مصارع السوء، وفي المقابل حذر من أسباب مصارع السوء في أحاديث أخر كالبغي على الناس وظلمهم بغير حق، وقطيعة الرحم، واليمين الغموس.

فقد روى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" ليس شيء أطيع الله تعالى فيه أعجل ثوابا من صلة الرحم وليس شيء أعجل عقابا من البغي وقطيعة الرحم واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع"

ومعنى بلاقع: أي مدمرة مشتتة أهلها فقراء، فانتبهوا من أسباب مصارع السوء يا عباد الله، واحرصوا على صنائع المعروف، فقد حثنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نتصدق على أنفسنا بفعل المعروف، كما عند البخاري ومسلم من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ"

قال عبدالعظيم آبادي رحمه الله(كل معروف صدقة) أي كل ما يُفعل من أعمال الخير والبر فثوابه كثواب من تصدق بالمال)ا.ه

فمن لم يفعل المعروف أو لم يجده فليكف شره عن الناس، فذلك صدقة منه على نفسه، فقد جاء عند الأصبهاني وابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله فقال:" أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد- يعني مسجد المدينة- شهرا ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى،ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه

يوم تزول الأقدام" هذا كله من المعروف الذي يقي مصارع السوء، ومن المعروف بذل الندى وكف الأذى ،فقد روى البخاري ومسلم عن سَعِيد بْن أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ". فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : " يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَتَصَدَّقُ ". قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : " يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ ". قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : " فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ "

فباب المعروف واسع جدا، فلا تحتقر المعروف ولو كان قليلا، وافعل المعروف ولو أن تبتسم في وجه أخيك المسلم فإن هذا من المعروف.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ ،رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ".

قال النووي ومعناه : سهل منبسط .

فيه الحث على فضل المعروف ، وما تيسر منه وإن قل ، حتى طلاقة الوجه عند اللقاء)ا.ه.

وروى الإمام أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،رضي الله عنهما، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ ".

فلا تحقرنَّ من المعروف شيئا ولو أن تتعاهد جارك بشيء من المرق ،فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ ،رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ ".

بل قد نهى الشرع عن احتقار شيء من العطية أو الهدية مهما قل وصغر، فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ،رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : " يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ "

قال الحافظ بن حجر رحمه الله:(هو عظم قليل اللحم،...، وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير)ا.ه

وقال النووي رحمه الله :"..وهذا النهي عن الاحتقار نهي للمعطية المهدية ومعناه لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها بل تجود بما تيسر وإن كان قليلا كفِرْسِن شاة وهو خير من العدم.."ا.ه

فإن الله تعالى يجعل العمل الصالح الخالص كالجبل ولو كان قليلا في عين صاحبه، فربَّ تمرة بإخلاص ومن كسب حلال تكون عند الله كالجبل، وربَّ عمل كثير بنية فاسدة، ومن كسب خبيث ليس له وزن عند الله، كل ذلك راجع إلى ما يقوم بالقلب من النيات.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ؛ إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ ، أَوْ قَلُوصَهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ ".

أي كما يربي ولد الناقة منذ الولادة إلى أن يصير جملا ضخما ،وهكذا التمرة فإن الله تعالى يبارك فيها حتى تصير كالجبل أو أعظم في الأجر والثواب.

-ويجدر بنا أن نذكر بعض النماذج من صنائع المعروف من فعل السلف الصالح ،فقد كان بعض الخلفاء والأمراء يخدمون المحتاجين، وينفقون على الملهوفين، ويحملون الدقيق على أكتافهم إلى أبواب المساكين، فلا يدري المسكين من الذي أتى به، وربما رؤي أثر الحمل على كتف أحدهم عند تغسيله بعد موته، قد أثر

الوعاء في ظهره، فصرف الله عنهم كل سوء ومكروه، ووقاهم مصارع السوء في الدنيا، ووعدهم في الآخرة بالحسنى، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق جميع ماله ،وهذا عمر رضي الله عنه يأتي بنصف ماله، وهذا عثمان رضي الله عنه يحفر بئر رومة، ويجهز جيش العسرة، في غزوة تبوك التي كانت أكبر غزوة وأشد غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم في شدة الحر، وبعد المسير، وكثرة العدو ،فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة.

فقد روى الترمذي عن عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ ،رضي الله عنه قال : "أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ : الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ، إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ : فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ ". قُلْتُ : مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ : " يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ ". قَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ : لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا "

وروى البخاري عن أَبِي عَمْرٍو الْقُرَشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال :قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ". فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ : " مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ ". فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ.

وذكر الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء عن عبدالله بن المبارك رحمه الله أنه كان يحج فيحج معه أصحابه فينفق عليهم ،فإذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك. فيقول: هاتوا نفقاتكم. فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم، يطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي، وأكمل مروءة، حتى يصل الى مكة

والمدينة فيشتري لأولادهم جميع متطلباتهم وما يحتاجون، فإذا رجعوا إلى بلدهم فتح الصندوق ويرد لكل واحد ماله..

قال وكان ينفق على الفقراء في السنة مائة ألف درهم..

قال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير، إلا وقد جعلها في عبد الله بن المبارك)انتهى ملخصا

-وهكذا الأنبياء من قبلهم وقاهم الله مصارع السوء بصنائعهم للمعروف، فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام وقاه الله من نار عظيمة، إذ ألقيَ فيها فأمرها الله أن تكون بردا وسلاما عليه فخرج منها سالما؛ لأنه من أهل المعروف، قال تعالى{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ}[سورة الأنبياء : 68 إلى 69]

-وهذا نبي الله موسى عليه السلام أراد فرعون وجنوده أن يقتلوه ،فخرج من بين أظهرهم سالما، فنجاه الله من مكرهم، لأنه من أهل المعروف، ثم رجع إليهم نبيا رسولا فلم يؤمنوا به فأهلكهم الله، وصنع ذلك المعروف العظيم لتلك المرأتين فنجاه الله من مصرع الجوع وعوضه الله بامرأة صالحة وأسرة طيبة مباركة، كما ذكر الله قصته في كتابه الكريم.

-وهذا عيسى عليه السلام، قال الله عنه: قال تعالى: "وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا" [مريم : 31] ذكر كثير من المفسرين في معنى قوله تعالى [وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ]أي نفاعا للناس أينما كان، فأرادوا قتله فرفعه الله من بين أظهرهم بصنائعه للمعروف، قال تعالى: { وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا

اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }[سورة النساء : 157 إلى 158]

-وهذا يونس عليه السلام التقمه الحوت في البحر، فأخرجه الله من ظلمات ثلاث، ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر وظلمة الليل، قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ}[سورة الأنبياء : 87 إلى 88]ومعنى قوله تعالى: [فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ]أي: ظن يونس أن الله لن يضيق عليه، وهذا من حسن ظنه بربه ،فلا يتبادر إلى الأذهان معنىً خاطئٌ لا يليق بيونس عليه السلام، فإن من معاني (نقدر)نضيق، كما قال تعالى { إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا }[سورة الإسراء : 30]

وقال سبحانه وتعالى مادحا ليونس عليه السلام، ومبينا أنه نجاه من مصارع السوء بصنائعه للمعروف:{ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ }[سورة الصافات : 143 إلى 144]

-وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم تآمر عليه المشركون، فأرادوا قتله فخيبهم الله، قال الله: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }[سورة الأنفال : 30]

وكان عليه الصلاة والسلام قبل بعثته يتعبد لربه في غار حراء الليالي ذوات العدد، إذ جاءه الملك فغطه ثلاثا حتى بلغ منه الجهد، أي ضمه وعصره حتى شق عليه ذلك، فقال له اقرأ، ثلاثا، وهو يقول ما أنا بقارئ أي لا أحسن القراءة، فقرأ عليه سورة العلق فَرَجَعَ بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى

خَدِيجَةَ، رضي الله عنها فَقَالَ : " زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي "،أي غطوني بالثياب ولفوني بها، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ : " أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي "، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ. قَالَ : " لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ". قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ،.. الحديث وهو في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها.

الشاهد قول خَدِيجَة رضي الله عنها : (كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا" إلى آخر كلامها..

وقد ذكر الحافظ من الاحتمالات في معنى قوله:"،لقد خشيت على نفسي" أنه خشي على نفسه من قومه أن يقتلوه، وقد عصمه الله منهم لكثرة محامده ومكارمه وخصال الخير فيه ،وكثرة صنائعه للمعروف كما هو ظاهر كلام خديجة رضي الله عنها.

قال النووي(قال العلماء رضي الله عنهم معنى كلام خديجة رضي الله عنها إنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل، وذكَرَت ضروبا من ذلك وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء..)ا.ه

-وإليكم قصصا من صنائع المعروف ممن كان قبلنا، منها قصة ثلاثة نفر دخلوا الغار فانحدرت عليهم صخرة فسدت عليهم باب الغار، فتوسلوا إلى الله بأعمال صالحة من صنائع المعروف التي عملوها، ففرج الله عنهم ورفع الصخرة عن باب الغار فخرجوا يمشون.

فقد روى البخاري ومسلم عن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ

صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمُ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ. فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ". قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ : لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا ". قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَقَالَ الثَّالِثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي. فَقُلْتُ لَهُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئُ بِي. فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا. اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ ".

-وهؤلاء ثلاثة نفر من بني إسرائيل أراد الله أن يبتليهم وكانوا فقراء، وهم أبرص وأقرع وأعمى، فأعطى الله الأبرص جلدا حسنا ولونا حسنا ووواديا من الإبل أو البقر، وأعطى الأقرع شعرا حسنا،

ووواديا من البقر أو الغنم، ورد للأعمى بصره وأعطاه واديا من الغنم، ثم أرسل إلى الأبرص ملكا بهيئته وصورته التي كان عليها عند فقره وبلائه، فقال المَلَك أنا رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري أسألك بالذي أعطاك الجلد الحسن واللون الحسن بعيرا أتبلغ به في سفري، فأبى أن يعطيه من مال الله الذي آتاه، ولم يشكر الله على ما أولاه من المال والعافية، وإنما كفر نعمة الله عليه وقال إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فدعا عليه الملك، فصيره الله كما كان، فأخذ الله منه المال وعافية البدن، فصار فقيرا أبرصَ يقذره الناس، ثم أرسل الله الملك إلى الأقرع فقال له مثلما قال للأبرص، ورد عليه الأقرع مثلما رد عليه الأبرص، فدعا عليه فصيره الله مثلما كان فقيرا أقرع يقذره الناس، ثم أرسل الله الملك إلى الأعمى فقال له مثلما قال لصاحبيه فرد عليه الأعمى قائلا:" قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ. فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ "والحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فانظروا يا عباد الله، واعتبروا، فإن لنا عبرة بهؤلاء النفر الثلاثة، اثنان كفروا النعمة، وأنكروا المعروف فعاقبهم الله في العاجلة قبل الآجلة، إذ أخذ منهم الأموال والعافية وغضب عليهم، والآخر شكر نعمة ربه، وصنع المعروف في أهله، فوقاه الله مصارع السوء الثلاثة، وهي: العمى والفقر وسخط الجبار عز وجل، وعوضه بثلاث نعم، وهي: المال والعافية ورضى رب العالمين سبحانه وتعالى.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، سيد المرسلين، وقائد الغر المحجلين، والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمابعد:

فإن لصنائع المعروف ثمارا عاجلة، وأجورا آجلة، يدفع الله بها مصائب الدنيا والآخرة، ويجازي عليها في العاجلة والآجلة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، أعد الله لهم المنازل العالية، والغرف المبنية، والأزواج المطهرة، والفواكه الكثيرة، والفرش الوفيرة، والأطعمة اللذيذة، كل ذلك جزاء صنائعهم للمعروف في الدنيا.

فإن الله تعالى يجازيهم على صنيعهم بجنس أعمالهم وزيادة، فيفرج كربهم ،وييسر عسرهم في الدنيا والآخرة، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ؛ نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ؛ سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"

وقد دخل رجل الجنة بغصن شوك أزاحه من طريق الناس، كما عند الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ "

وفي رواية عند مسلم : " لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ ".

والعكس بالعكس فإن الذي يؤذي الناس في طريقهم، وفي ظلهم ومواردهم، فقد عرض نفسه للعن، وهو الطرد من رحمة الله، ويخشى عليه من مصارع السوء، فقد روى أبو داود عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ،رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ : الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ ".قال تعالى { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ }[سورة الزلزلة : 7 إلى 8]

فمن صنع معروفا لإنسان أو حيوان لقي جزاءه عند الكريم المنان سبحانه، فقد كتب الله الإحسان على كل شيء، كما عند الإمام مسلم عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ،رضي الله عنه قَالَ : ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ "

فقد أمر الله بصنع المعروف في كل شيء حتى في الحيوان، فإن رحمته سبحانه وتعالى وسعت كل شيء ولذلك فإنه يرحم من عباده الرحماء، ومن يرحم من في الأرض يرحمه من في السماء ومن يعذب من في الأرض يعذبه الذي في السماء، فإن العبد يؤجر بإحسانه على كل شيء،،ويحاسب على إساءته إلى أي شيء، فقد غفر الله لرجل سقى كلبا كاد أن يموت من العطش، وفي رواية أن الله تعالى غفر لزانية بسقياها لهذا الكلب.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ

الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي. فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا ؟ فَقَالَ : " فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ "

وفي رواية: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ "ومعنى ركية أي بئر، ومعنى بغي: أي زانية، وموقها :أي خفها.

فهذا جزاء الإحسان إلى حيوان، فما هو جزاء الإحسان إلى الإنسان؟ وما هو ثواب من أسقى بني آدم؟ فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ فقد روى الإمام أحمد عن سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : " سَقْيُ الْمَاءِ " وكيف لو تجاوز عن المعسرين، وأنظر الموسرين، ووضع عن المدينين، وكيف لو أنفق على اليتامى والمساكين؟، فقد روى البخاري ومسلم عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا : أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا. قَالُوا : تَذَكَّرْ. قَالَ : كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ. قَالَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : تَجَوَّزُوا عَنْهُ ". وفي رواية:" أُنْظِرُ الْمُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ "

وفي رواية لمسلم" قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : "نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ ". أي اعفوا عنه.

صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصنائع المنكر تجلب مصارع السوء.

عباد الله: لقد غفر الله لزانية لأنها صنعت معروفا لكلب كما سمعتم، وعذب الله امرأة في النار لأنها أساءت إلى هرة حبستها حتى ماتت

جوعا، فجلبت على نفسها مصرعا من مصارع السوء يوم القيامة، فقد روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ". قَالَ : فَقَالَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ : " لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِيهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِيهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ ".

فهذه امرأة ظلمت هرة فعُذبت بها في نار جهنم، فكيف بالذي يعذب عباد الله؟! وكيف بالذي يظلم عباد الله الذين يقولون لا إله إلا الله، ويعملون بسنة رسول الله، ويقيمون الصلاة؟! أليس من باب أولى أنهم يُعذبون؟ وتصرعهم مصارع السوء في الدنيا قبل الآخرة؟

فهذا أنموذج من نماذج مصارع السوء في امرأة ظالمة ظلمت رجلا صالحا في أرضه، فدعا عليها، فأخذ الله بصرها، وصرعها في أرضها، فقد روى الإمام مسلم عن عُرْوَةَ، رحمه الله ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ سَعِيدٌ : أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ : وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ ". فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا. قَالَ : فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ.

صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصنائع المنكر تجلب مصارع السوء.

اللهم إنا نعوذ بك من مصارع السوء في الدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، اللهم آتنا

في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم احفظنا بالإسلام قائمين واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين، اللهم إنا نسألك من كل خير خزائنه بيدك، ونعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك، الله انصر الإسلام وأهله، وأذل الشرك وأهله، اللهم عليك باليهود الغاصبين، والنصارى الملحدين، اللهم عليك بالعلمانيين والشيوعيين، يا قوي يا متين، اللهم رد كيدهم في نحورهم ،واكف المسلمين شرورهم، اللهم إنا نجعلك في صدورهم، ونعوذ بك من شرورهم، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين